ISSN : 2335-1071 ردمد:

مخبر الخطاب الحجاجي
أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون -تيارت

فصل الخطاب

ملف العدد:

الشعرية و تلاشي وثوقية التصنيف الأجناسي
جهود الباقلاني في الكشف عن مظاهر انسجام الخطاب القصصي القرآني
حوارية البلاغة بين التخييل و الإقناع لدى حازم القرطاجني
النفي البلاغي في القرآن الكريم
التمثيل الحجاجي للكناية والتعريض في القرآن الكريم

ديسمبر 2016

العدد 16
المجلد الرابع

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث
العلمية والنقدية واللغوية والأدبية والبلاغية
باللغتين العربية والأجنبية

فصل الخطاب
العدد السادس عشر
ديسمبر 2016 Décembre
Revue n°16
Faslo El-Khitab

ISSN: 2335-1071

Laboratoire du discours argumentatif
ses origines, ses références ses perspective en Algérie
Université Ibn-Khaldoun-Tiaret

Faslo El-Khitab

(Art d'Argumenter)

Décembre 2016

Revue périodique a vocation scientifique, traitant des domaines de la critique littéraire, la languistique et la rhétorique en langues arabe et étranger

Revue N 16
Volume 04

فصل الخطاب

دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وأفاقه في الجزائر
تعنى بالدراسات والبحوث العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والفرنسية

العدد السادس عشر

ديسمبر 2016

ردمد ISSN 2335-1071

رقم الإيداع القانوني 1759 - 2012

جامعة ابن خلدون – تيارت
الجزائر

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زعرورة _ تيارت 14000 _ الجزائر
أو عبر: faslkhitab@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد النشر بالمجلة

1. تهتم المجلة بنشر كل الأبحاث التي تعالج قضايا في حقل الحجاج والنقد الأدبي والبلاغتين القديمة والجديدة وما يدور في حقل اللغويات وله علاقة بهذه المواضيع . كما يمكن أن تنشر المجلة نقدا متخصصا أو مراجعة أو ترجمة لأحدث المدونات العلمية الصادرة باللغة العربية أو اللسان الأعجمي.

2. لغة النشر عربية، فرنسية، إنجليزية، على أن يصحب البحث بملخصين مجتمعين في صفحة، أحدهما باللغة العربية والآخر إما باللغة الفرنسية أو الإنجليزية.

3. ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي إصدار آخر .

4. يقدم المقال المكتوب بالعربية بخط **(Traditional Arabic)** قياس 14 في المتن و11 في الهامش، أما المكتوب بالأجنبية بخط **Times New Roman** قياس 12 في المتن و10 في الهامش وكلاهما بمسافة 1 سم بين الأسطر وهوامش 4 سم (من الجهات أربع)، وألا يتجاوز البحث عشرين (20) صفحة بما في ذلك الإحالات، التي يشترط أن تكون إلكترونية، أما الجداول والترسيمات والأشكال فتكون صورا **IMAGE** .

5. بعد موافقة اللجنة الاستشارية المؤهلة للخبرة العلمية على الأعمال والبحوث، تعرض على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهما بسرية مطلقة. وتحتفظ المجلة بحقها في أن تطلب من صاحب المقال التعديل بما يتناسب ووجهة نظرها في النشر .

6. لا تعبر البحوث المنشورة بالضرورة عن رأي المخبر، والمجلة غير مسؤولة عما ينتج عن أي بحث، والدراسات والبحوث التي ترِد المجلة لا تُردّ إلى لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

7. ترتيب المقالات في المجلة يخضع للتصفيف الفني وليس لاعتبارات أخرى كمكانة الكاتب أو شهرته أو غير ذلك.

رئيس المجلة

أ.د. مدربل خلادي

مدير جامعة ابن خلدون ـ تيارت

المدير المسؤول عن النشر

أ.د. زروقي عبد القادر

مدير مخبر الخطاب الحجاجي

رئيس التحرير : أ.د. بوزيان أحمد

هيئة التحرير

د. داود امحمد

د. سبع بلمرسلي

د. درويش أحمد

د. بوعرعارة محمد

د. غربي بكاي

د. قوتال فضيلة

د. كراش بخولة

د. بن فريحة جيلالي

د.معازيز بوبكر

د.عزوز الميلود

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. بوهادي عابد ـ جامعة تيارت

أ.د. فيدوح عبد القادر ـ البحرين

أ.د. مرتاض عبد الجليل ـ جامعة تلمسان

أ.د. خلف الجردات ـ المملكة الأردنية

أ.د. العشي عبد الله ـ جامعة باتنة

أ.د. بوحسن أحمد ـ المغرب

أ.د. حسن نعمي ـ المملكة العربية السعودية

أ.د. عباس محمد ـ جامعة تلمسان

أ.د. بشير بويجرة محمد ـ جامعة وهران

أ.د. آمنة بلعلى ـ جامعة تيزي وزو

أ.د. توفيق بن عامر ـ تونس

أ.د. سطمبول الناصر ـ جامعة وهران

أ.د. حسن البنداري ـ عين شمس ـ القاهرة

أ.د. خميسي حميدي ـ جامعة الجزائر

أ.د. دراوش مصطفى ـ جامعة تيزي وزو

أ.د. كواري مبروك ـ جامعة بشار

الفهـــــــرس

كلمة رئيس التحرير.....05
-الشعرية وتلاشي وثوقية التصنيف الأجناسي،
تشظّي الأصل الجامع وتكوثر التشجير المفارق(سطمبول ناصر).....07
- جهود الباقلاني في الكشف عن مظاهر
انسجام الخطاب القصصي القرآني(بن يمينة رشيد).....25
- الانفصال في العربيّة، "الضّمير أُنموذجًا"(نافع سلمان جاسم).....41
- حوارية البلاغة بين التخييل والإقناع لدى حازم القرطاجني(آيت حمدوش فريدة).....63
- مفهوم النظم عند المعتزلة،
الملامح الفكرية لرؤية المعتزلة للإعجاز في الخطاب القرآني(دحماني شيخ).....71
- منهج دراسة المجاز في القرآن الكريم. بين فكر البلاغيين والأصوليين(طويل مصطفى)..... 89
- التمثيل الحجاجي للكناية والتعريض في القرآن الكريم(بختي العياشي).....105
- النفي البلاغي في القرآن الكريم(ميسومي نور الهدى).....123
- الحجاج في الخطاب النقدي الدرامي التلفزيوني:
الإشكاليات والرهانات(القحطاني فيصل محسن).....143
- تعليمية النص الحجاجي في المرحلة الثانوية
الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية (حاج هني محمد/ روقاب جميلة).....159
- الأداء الصوتي وأثره في تلقين رسالة الخطاب القرآني(حيمور إسماعيل).....173
- الملامح التّداولية لأسلوب التّأكيد في التّراث النّحوي العربي
مقاربة سيّاقيّة من خلال نظرية الأفعال الكلاميّة(بومسحة العربي).....189
- المرجعيات ودورها في تشكيل المصطلح بين مدّ التّراث وجزر الحداثة(شادلي عمر).....201
- علم اجتماع الأدب، فروعه ومناهجه(أحمد الحاج أنيسة).....221
- بلاغة السرد في قصيدة النثر، أدونيس أنموذجا(حميدي شريفة).....235
- دلالة الرمز الصوفي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر(زرارقة الوكال).....243
- الشعر العربي بين رؤيا المقاربة والمفارقة في النقد(يعقوبي قداوية).....253
- سؤال الهوية في الخطاب الديني في رواية "قليل من العيب يكفي"(بوشيبة عبد السلام).....269
- حضور الخطاب الايديولوجي في الرواية الجزائرية "الوساوس الغريبة"(بوشاقور مليكة).....279
- التراث والنص الروائي العربي(العرابي محمد).....291
- انفتاحيه بنية النص اللغوية، في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه"(مسك خيرة).....299
- لغة الاختصاص بين الغموض الدلالي وتحديات الترجمة(بختو عبد الحميد).....315

كلمة رئيس التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أما قبل .....

مع طموح متفلت من رقابة الواقع والمحيط، يتجاوز العراقيل والمثبطات، وإرادة تعبد الطريق وتذلل الصعاب، وطاقم أغلبه شباب متطلع لرؤية أفضل، تشرئب روحه إلى المعرفة في أقصى مداها، وفي مختلف مناحيها، قد يهون عليه ركام المعوقات والتعب وتردي ما صارت إليه الجامعة، وهو الذي عايش أوج عنفوانها ومع كل ذلك فيستنهض الأمل من جديد ويشحذ الروح والهمة معا، فتولد طاقة أخرى ترمم ما انصدع، وتوصل ما انقطع في حيوية متوشحة بالجسارة الروحية، والتحدي المتسم بالوقار.

وذلك ما يلاحظه الرائي المتأمل أو المتعجل من أسراب الطلبة والطالبات وهي تفد على قاعات مخبر الخطاب الحجاجي والمورد العذب كثير القصاد كما قال الشاعر قديما، وهو ما يزيد الثقة بالنفس، ويزرع الثقة والقبول، ثم احتساب كل ذلك عند الله تعالى .

وذلك ما دأبت عليه نخبة هذا المخبر، من خفض الجناح، أو التقرب إلى طلبة الدكتوراه أو الماستر أو حتى الليسانس، مما رغب هؤلاء الطلبة إلى الاندماج فرادى ومجموعات في هذا المخبر إما بالاستشارة أو اقتناء الكتب، فترى القاعة الكبرى كحديقة غناء وقد فاح أريجها، وباح عبقها. فتستقطب الفراشات والنحل، إما للاستجمام أو لصنع العسل، وذلك هو شأن مجلة فصل الخطاب، لسان حال مخبر الخطاب الحجاجي، في استقطابها للدراسات الجادة والواعدة في شتى أصناف المعرفة، تراثية كانت أم حداثية، ولا عبرة عندنا لهذا التصنيف الزمني، وإنما العبرة للمعرفة وحدها التي تنبني على التراكم، فلا قيمة للحاضر إلا باعتباره إفرازا للماضي، ولا قيمة لهذا الماضي إلا اذا كان حاضرا في وعينا ووجداننا حضورا يفاعل الراهن تفاعلا منتجا .

وهذا الوعي بهذه الإشكالات المتداخلة هو ما سيلاحظه القارئ في هذه المقالات المتنوعة كالشعرية وتلاشي وثوقية التصنيف الأجناسي، تشظّي الأصل الجامع وتكوثر التشجير المفارق، وجهود الباقلاني في الكشف عن مظاهر، وانسجام الخطاب القصصي القرآني، والانفصال في العربيّة، "الضّمير أُنموذجًا"، وحوارية البلاغة بين التخييل والإقناع لدى حازم القرطاجني، ومفهوم النظم عند المعتزلة، الملامح الفكرية لرؤية المعتزلة للإعجاز في الخطاب القرآني، ومنهج دراسة المجاز في القرآن الكريم. بين فكر البلاغيين والأصوليين، والنفي البلاغي في القرآن الكريم، والأداء الصوتي وأثره في تلقين رسالة الخطاب القرآني، والملامح التّداولية لأسلوب التّأكيد في التّراث النّحوي العربي مقاربة سيّاقيّة من خلال نظرية الأفعال الكلاميّة، والمرجعيات ودورها في تشكيل المصطلح بين مدّ التّراث وجزر الحداثة، وعلم اجتماع الأدب، فروعه ومناهجه، وبلاغة السرد في قصيدة النثر، أدونيس أنموذجا، ودلالة الرمز الصوفي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر، والشعر العربي بين رؤيا المقاربة والمفارقة في النقد، وسؤال الهوية في الخطاب الديني في رواية "قليل من العيب يكفي"، وحضور الخطاب الايديولوجي في الرواية الجزائرية "الوساوس

الغريبة"، وانفتاحيه بنية النص اللغوية، في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه"، ولغة الاختصاص بين الغموض الدلالي وتحديات الترجمة،

وإيمانا منا بانفتاح المعرفة، مع اعترافنا بمفهوم التخصص الذي دأب عليه البحث الأكاديمي في صرامته ، ومع كل ذلك تظل المجلة وفية لخطها الذي ارتضته تخصصا، مقيدا ومفتوحا في الآن ذاته. هذا التخصص التي هي مشروطة بوجوده تحديدا في الدراسات الحجاجية باعتبارها مدار المخبر ، وعليها بُني وبها يستمر، ومنها ينطلق وإليها يعود. وهو وفاء لشرعية عنوانه، ولذلك جاءت دراسات الحجاج في هذه المقاربات كالحجاج في الخطاب النقدي الدرامي التلفزيوني: الإشكاليات والرهانات، وتعليمية النص الحجاجي في المرحلة الثانوية الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية، والتمثيل الحجاجي للكناية والتعريض في القرآن الكريم.

وعلى كثرة ما يصلنا من مقالات كثيرة في التخصصات المختلفة، وعلى تفاوت كفاءتها العلمية فإن الفيصل الوحيد هو التحكيم السري، ولم تعد مجلة فصل الخطاب حكرا على أساتذة الجزائر فقد وصل صداها الى المغرب والامارات والسعودية وقطر والعراق وحتى بلغات أخرى وعلى هذا فإن طاقمها يرحب بكل الدراسات الجادة وسوف تبقى وفية لخطها آملين أن يزيدنا الله مددا بلا عدد .....

ولله الفضل والمنة

الأستاذ الدكتور: أحمد بوزيان

التمثيل الحجاجي للكناية والتعريض في القرآن الكريم

الطالب: بختي العياشي — إشراف الدكتور: معازيز بوبكر

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر — جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، خاطب العاطفة، كما خاطب العقل والقلب، جاء محكما في تنزيله، تجلّت فيه صور التأثير والإقناع بكل أطياف البلاغة وصور البيان من مجاز ومعان وبديع، مراعيا أحوال المخاطبين وأذواقهم، مبتعدا عن كل ما يخدش الحياء، ويثير الحرج، ويعيب الذوق. وفي هذا المقال نتعرض بالدراسة والتحليل لأسلوبي الكناية والتعريض في نماذج من القرآن الكريم من خلال نظرية الحجاج.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الخطاب، المرسل، الإقناع، المتلقي.

The Argumentative Representation of Metaphor and implicature in the Holy Qur'an

Abstract

The holy Qur'an remains as the ultimate miracle. It addressed human emotions, heart and mind. It was flawless. It had many forms of influence and conviction, using different rhetoric, eloquence, metaphor and figures of speech and considering the different tastes of the readers. It avoided obscenity, harmful speech and distasteful things. In this article, we study and analyze metonymy and allusion in the Qur'an basing on argumentative theory.

Keywords: Argumentation representation, implicature, conviction, metaphor, obscenity, distasteful, metonymy

توطئة:

جاء القرآن الكريم متحديا أهل الفصاحة بنظمه ورقي لغته وسموّ بيانه، فهو عِظّة لكل مُؤمن، ومُؤنس لكلّ حائر، وتذكير لكل غافل، فهو بيان لكل حجة، بَهر العقـول، وأعجز الجمهور، شرّف اللغة العربية، وميّزها عن سائر اللغات بنظام تركيبي بياني بديع فريد. فيه من الجمال الحسّي والمعنوي والتأثيري ما يعجز عن نظمه الإنس والجان، تعدّدت مظاهر الإقناع فيه، من خطابات علنية صريحة في الحدود والقصاص والمواريث وضمنية في خطابات أخرى تراعي الأحوال النفسية للمخاطبين.

تاريخ تسليم البحث: 11مارس 2016.

تاريخ قبول البحث: 24أكتوبر 2016.

مشاكلة اللفظ والمعنى في المزية:

البلاغة لا تنحصر في تزيين الكلام وتنميقه والبحث عن جماليته فحسب، بل هي سلوك يتعدى به الباث إلى إقناع الطرف الآخر وجذبه نحو حلبة الفهم والإفهام يقول عبد القاهر الجرجاني "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه في قلبك،[1] فعلم البلاغة له فضل كبير في بيان أساليب العرب، وبيان الإعجاز الإلهي للقرآن الكريم. قال الله تعالى: ﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.[2]

اهتم علماء البلاغة بالبيان لأنه "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السّامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدّليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسّامع، إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع[3]. كما أخضع السكاكي البلاغة إلى علم الاستدلال لأنّها "تخضع للعقل وقوانين المنطق، والذي يراعي فيه صحة الفكرة، وسلامتها، وتسلسلها بحيث يؤدي التعبير عنها ما هو مطلوب من إبراز تلك الصحة العقلية في تعبير مماثل، يسلم إلى نتيجة منطقية تلزم القارئ والسامع، لأنها افتعلت عقله وفكره وسيؤدي في الاقتناع بما تفضي إليه المقدمات من النتائج... "[4] فالمعاني تترتب دلالتها من خلال مكانها في النّظم، وحسن معناها مع جارتها، فالمزية التي عبّر عنها عبد القاهر الجرجاني "ليس الغرض أن توالت ألفاظها في النطق بل تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل".[5] ومن خلال هذا الطرح الذهني يتبين لنا أن المزيّة ترجع إلى ترتيب المعاني في النظام الفكري، دون الاستغناء عن ترتيب الألفاظ. وهذا "لا يعني الفصل، بمعنى إذا وجدت المزّية في اللّفظ لا توجد في أحدهما في النظّم، والعكس بالعكس، بل تعني مبدئيا إمكان أن توجد في أحدهما دون الأخر أو توجد بهما في آن واحد، فيكون الأمر دقيقا خفيّا قد يجعل غير المحقّق ينحل اللفظ(أي المجاز) ما سببه وعلته النّظم".[6] وهذا كلّه من أجل أن يستقيم المعنى الصحيح في ذهن المتلقي.

إن دخول مصطلح معنى المعنى من خلال عبد القاهر الجرجاني والذي فرّق بين دلالة المعنى ودلالة معنى المعنى، وتحديد كيفية وصوله إلى السامع فتح بابا إلى التأويل الذي يربط بين معاني النحو وأغراض التكلّم من جهة، والربط بين أصل المعنى ومعاني الألفاظ من جهة أخرى.

ولهذا صنف المناطقة الدلالات إلى أصناف ثلاثة هي: [7]

- دلالة مطابقة: وأساسها تطابق اللفظ والمعنى أي تمام اللفظ لتمام المعنى.

– دلالة تضمنية: وأساسها أن يكون جزء في ضمن المعنى الذي وضع له اللفظ. ومثالهم دلالة الإنسان على الحيوان أو الناطق.

– دلالة الالتزام: أن يدل اللفظ على خارج منه لازم للمعنى الذي وضع له.

المجاز عنصر مهم في البلاغة وهو لون من ألوان الأسلوب البياني في القرآن الكريم، ولا شك في أن مبدأ موافقة الكلام لمقتضى الحال يساهم كثيرا في تأكيد الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وأعطى أرسطو تعريفا مختصرا بأنه "نقل اسم يدل على شيء آخر"[8]. فالمجاز له وقع بالغ في نفسية المتلقين "كلما كان أشد كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب".[9] أما السكاكي فيرى أنّ البيان كله مبني على العملية العقلية، لأن الخطابات ما هي إلا استدلالات بلاغية حجاجية حيث "اعتبر الاستدلال في البلاغة العربية حجة ودلالة عقلية بيانية"[10]. ومن مميزات اللغة الطبيعية أنها لغة التخاطب اليومي، والصورة التي يتضمنها هذا الخطاب ليس بالضرورة يحمل أدلة صريحة، بل أحيانا تتخلله أدلة مضمرة، تتجه مباشرة إلى قصدية المتكلم، وهذا ما يحيلنا إلى تعدد مستويات الخطاب الطبيعي التي نحددها في: [11]

1- المنطوق: ويتعلق بما يصرح به المتكلم بواسطة الدلالة الحقيقية للكلمات.

2- المقتضى: ويهم مجموع المعلومات المتعارف عليها بين المتخاطبين والتي لا تحتاج إلى تذكير أو توضيح أكثر.

3- المفهوم: ويرتبط بما يستنتجه المخاطب خارج الدلالة الحقيقية للكلمات.

لهذا كان ارتباط الكناية والتعريض بالمجاز الذي يعبر عن المعاني المضمرة يفصح عن المغزى، ويحسن القبيح، ويلطف الكثيف ويكسوه المِعرض*[12] وأنهما طريقان يستعملهما البلاغيون كوسيلة للإقناع والمحاجة والتأثير، وذلك بتقديم المعاني الخفيّة المصحوبة بالبيان وبالدليل.

والكناية في السياق اللغوي، "أن تتكلم بالشيء وتريد به غيره، يقال: كننت بكذا عن كذا، إذا تركت التصريح به. يكني. وقيل: هي من كنيت الشيء أكنيته، إذا ستر بغيره، وقيل: كنانة: بنونين ؛ لأنها من "الكنّ" وهو الستر، وتعريف الكناية مأخوذ من اشتقاقها، واشتقاقها من الستر، ويقال كنيت الشيء إذا سترته، وإنما أجري هذا الاسم على النوع من الكلام ؛لأنه يستر معنى، ويظهر غيره، ولذلك سميت كناية"[13].

أما في السياق الاصطلاحي فيعرفها الجرجاني "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكرها باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورفده في الوجود فيومئ به إليه فيجعله دليلا عليه"[14]. كما تحيل على المعنى الثاني الذي يحمله اللفظ، وأن هذا المعنى

يفهمه المتلقي إيحاءً، ويُنبئ به المعنى الأول أو ما يسمى المعنى الظاهر للفظ قال تعالى﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾.[15] يفهم من كلام الجرجاني أنّه ميّز بين (المعنى) و(معنى المعنى)، فالأول هو دلالة اللفظ على وجه الحقيقة؛ أي في معناه الوضعي. وأعطى مثالا على ذلك في قوله: خرج زيد، عمرو منطلق، والمراد من الجمل الإخبارية، الخروج والانطلاق على وجه الحقيقة، لكن يمكن أن يأخذ المعنى الصريح الظاهر من اللفظ على وجه الحقيقة إلى معنى ثان من خلال الأمثلة الآتية:

كثير الرماد ←ــــــــــ كريم(مضياف)

هو طويل النجاد ←ــــــــــ طول القامة

بلغني أنّك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ←ــــــــــ التحيّر والتردد.

فلانة نؤوم الضُحى أي أنّها مرهفة مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات، وذلك أن وقت الضحى هو وقت سعي بنات العرب، في قضاء حوائجهم اليومية، فلا تنام في هذا الوقت إلا النّساء المخدومات أي؛ اللواتي يناب عنهن في قضاء حوائجهن، فهي لا تنافي المعنى الحقيقي للكلام من خلال تصريح باللفظ، لتنتقل من معنى اللفظ إلى معنى ثان، ينتج من خلال تأويل الكلام، والكناية لا تنافي إرادة المعنى الحقيقي بلفظها، والوصول إلى المعنى دون تأويل، في حين أن المجاز ينافي إرادة الحقيقة بلفظه، فلا يصح في نحو: "رعينا الغيث"، إذا كان الانتقال في المجاز من الملزوم إلى اللازم، فإن الانتقال في الكناية يتم من اللازم إلى الملزوم ويبرر ((الملازمات للمعاني)) في المجاز والكناية والتشبيه والاستعارة. فقد يذكر للملزوم والقصد إلى اللازم أو العكس يذكر اللازم والقصد إلى الملزوم[16]

فالدلالة الإلزامية قائمة على صورتين:

لازم ←ــــــــــ ملزوم

ملزوم ←ــــــــــ لازم

مثال توضيحي:

في المجاز: رعينا غيثا ←ــــــــــ رعينا نباتا

ملزوم ←ــــــــــ لازم

الكناية: فلان طويل النّجاد ←ــــــــــ فلان طويل القامة

لازم ←ــــــــــ ملزوم

فالسكاكي بنى وجوه البيان على الاستدلال واللزوم، و"بذلك نزع عن البيان شرنقة الزخرف والتفنن ليربطه بالبعد الإقناعي.[17] ولكن الجديد حقا، في مستوى الإصلاحات والمفاهيم والمداخل إليها، التجاؤه إلى تقسيم الدلالة إلى وضعية وعقلية، وتفريع الدلالة العقلية إلى:[18]

• ما يكون داخلا في مفهوم اللفظ كدلالة البيت على السقف الذي هو جزء من مفهوم اللفظ.

• ما يكون خارجا عنه كدلالة لفظ السقف على الحائط.

• دلالات الألفاظ على المعاني التّي هي موضوعة بإزالتها كدلالة الحجر والجدار والسّماء والأرض على مسمياتها.

التعريض والإيماء:

التعريض في السياق اللغوي "ضد التصريح أي أن تخاطب واحدا وتريد غيره، وسمي بذلك لأنك تميل الكلام إلى جانب وأنت تشير إلى جانب آخر"[19]؛أي أنّ معاني الخطاب تُفهم من عَرضه، **قال الله تعالى:** ﴿ **وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[20]، والكناية والتعريض من الأساليب الإيحائية التي لا تدل على المعنى بصورة مباشرة، لأنهما تعملان على إعمال العقل والخيال، وإثارة المتلقي للوقوف على المعنى المقصود، إلا أن يشوبهما بعض الفروقات الطفيفة، فالتعريض أخفى من الكناية، إذ المعنى الكنائي لفظي وضعي من جهة المجاز، بيد أنّ دلالة التعريض من جهة المفهوم المركب، لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي، وأنّ المعنى يُفهم من عُرض اللفظ[21].

الحجاج في السياق الغربي الحديث:

يعتبر البحث في الحِجاج من نتائج التحوُّل العميق الذي اكتنف الدرس البلاغي الحديث، وكان من إفرازاته أن تخلّت البلاغة عن نزعتها المعياريّة، لتهتم بدراسة الخطاب من وجهة وظيفته الحجاجية؛ ولهذا أصبحت البلاغة اليوم تدرس البعد الحجاجي، في النصوص والخطابات التي ارتبطت بوسائل الإقناع، في مجتمع يتجه يوما بعد يوم نحو علوم التحريض والدعاية، فسيادة وسائل الإعلام في ثقافتنا تجعل من الخطابة بوصفها تقنية ضرورية وملائمة للإقناع، وقد أضحى "الحِجاج في رحاب هذا التحوّل مطلباً أساسياً في كلِّ عمليّة اتّصالية تستدعي الإفهام والإقناع، وانطلاقاً من الدور البالغ الذي أصبحت نظريّة الحِجاج تلعبه، أو من المفروض أن تلعبه، فـ(بيرلمان Perelman) يعتبر أنّ البلاغة مطابقة لنظريّة الحِجاج؛ فقد حصر الأولى في الأخيرة.[22]

أما الحجاج في السياق اللغوي: من حاجّ: حاجه، محاجة وحجاجا: نازعه الحجّة، وحجه، يحجه، حجا، غلبه على حجته، وفي الحديث: ((فحج آدم موسى))، أي غلبه بالحجة،

واحتجّ بالشيء: اتّخذه حجة، قال الأزهري: إنما سمّيت حجة، لأنّها تُحج، أي تقصد، لأنّ القصد لها وإليها، وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك، وفي حديث الدجال: ((أن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه))، أي مُحاجه ومغالبه، بإظهار الحجة عليه، والحجّة الدليل والبرهان، يقال حاججته، فأنا محاج وحجيج، فعيل بمعنى فاعل، ومنه حديث معاوية، فجعلت أحج خصمي، أي أغلبه بالحجة. [23] وكلمة حجة تحمل عدة دلالات في الخطاب الحجاجي سواء كانت صريحة أو ضمنية" فالحجة هي تفاعل أو نقاش أو جدل أو حوار بين المتخاطبين الغرض منها إثبات قضية ما أو دحضها فهي خطاب يحتوي استدلالا، وجوهر المنطق نفسه، فالحجج نفسها يمكن أن تكون منطقية أو غير منطقية. [24] والحجاج على ضربين: "ضرب أنت فيه لا تبرح حدود المنطق فهو ضيق المجال ومرادف للبرهنة والاستدلال... وضرب هو واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على إذعان السامع أو القارئ".[25]

الحجاج عند بيرلمان:

إن ظهور كتاب (مصنف في الحجاج) لبيرلمان وتيتيكاه الذي جسّد بلاغة الإقناع في ثوب جديد بعيدا عن المنطق الصوري لأرسطو، حيث اعتمدا على روافد "كالتراث المنطقي وأساليب الحجاج القضائي، كما شفعوا ذلك بالعناية باللغة التواصلية بصفة عامة انطلاقا مما للشكل البلاغي من أدوار أسلوبية حجاجية.[26] والحجاج يقوم على أهداف ومقاصد بها تُبنى العملية التواصلية لأن الغاية منه أن "يجعل العقول تذعن لما يطرح لها أو يزيد من درجة الإذعان، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب، أو هو ما وُفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"[27] أما مميزات الحجاج عند بيرلمان فينظر إليها من خمسة اتجاهات رئيسية يتقيد بها صاحب الحجة "أن يتوجه المتكلم بخطابه نحو مستمع، بلغة طبيعية، وأن تكون مسلماته لا تعدو كونها احتمالية، كمالا يفتقر تقدمه (تناميه) إلى ضرورة منطقية، وأن تكون نتائجه غير ملزمة احتمالية غير حتمية"[28].

ترتبط نظرية الحِجاج بجوانب أخرى مختلفة، لا تتعلّق باللغة والبلاغة فحسب؛ بل ترتبط بالجانب النفسي والاجتماعي والثقافي الذي يسهم في إنتاج الخطاب الحجاجي بكل أنواعه، وتتنوع حصر الحجج الى"حجج شبه منطقية التي تستمد طاقتها الإقناعية من مشابهتها للطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة، والحجج المؤسسة على بنية الواقع من قبيل الربط السببي وحجة السلطة، والحجج المؤسسة لبنية الواقع شأن المثل والشاهد والتمثيل والاستعارة[29].

نظرة الحجاج عند تولمين:

جاءت نظرية الحجاج عند تولمين معارضة لبعض أساليب المنطق الصوري وجعلها قابلة للتطبيق في الخطاب اليومي مستخدما طرق الاستدلال للوصول إلى النتيجة وتقوم نظريته" على رسوم حجاجية ثلاثة، أولها المعطى(م) والنتيجة(ن) والضمان (ض) أو ما يسمى قانون المرور، بالإضافة إلى عنصر الموجّه Le qualificateur modal)ونصطلح عليه بـ (ج) وعنصر الاستثناء(س)ويمكن تمثيل شروط رفض القضية بالشكل الاتي:

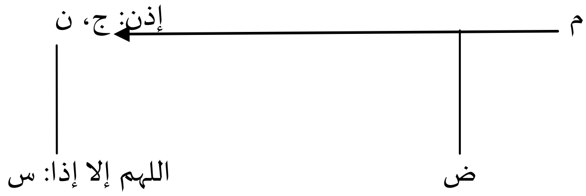

فالمعطى يكون مصرحا به(Explicite) والضمان (Implicite) يكون ضمنيا وهو الذي يضمن سير العملية الحجاجية، وقد نلخص مشروع تولمين الحجاجي في عدة نقاط:

- إن نظرية تولمين حوار وليس مناجاة..
- عدم إعطاء مكانة خاصة للجمهور أو غيابه.
- عدم مراعاته للمقام أو ليس له وجود أيضا.
- الحجاج عند تولمين يستند إلى البرهان في المنطق والقوانين القضائية. [30]

الحجاج عند ميشال مايير:

إن الحجاج عند الفيلسوف البلجيكي ميشال مايير(Michel Meyer) هو محور الآلة البلاغية وهو "جهد إقناعي وبعد جوهري في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه"[31]، وتقوم نظرية المساءلة عنده التي ربطها بالحجاج؛ لأن "الحجة عنده إلا جواب أو وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدر يستنتجه المتلقي ضمنيا من ذلك الجواب ويكون ذلك بطبيعة الحال في ضوء المقام وبوحي منه".[32] ولهذا يعمل المتكلم على إثارة الأسئلة التي لها دور فعال وأساسي في بناء الخطاب الحجاجي "وأن طرح الأسئلة يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطَب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن أن يلطف السؤال بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم، وبالإمكان المتكلم كذلك تعميق نقاط الاتفاق مع المخاطب إذا ما كان مقرّا بما يطرحه عليه من أجوبة [33] كما أولى عناية كبيرة بالصور البلاغية لما لها من تأثير مباشر على المتلقي، تحرك مشاعره وعواطفه واعتبرها "قادحة للخيال ومعبرة عن الأهواء الإنسانية ويبين أن المجاز وما يحمله من

خطابات حجاجية سواء كانت صريحة أو ضمنية ؛لأنه يخلق المعنى ويصدم كل من لا يشاطر المتكلم وجهة نظره. وهو إلى ذلك طريقة التعبير عن الأهواء والانفعالات والمشاعر التي هي صور من الإنسان مثلما يكون المجاز صورة من الأسلوب"[34]

البعد الحجاجي في الخطاب القرآني.

إنّ الخطاب القرآني أسلوب مميز عن أسلوب البشر، لأنه المعجز بمفرداته وتراكيبه، ونظامه الصوتي الذي يستهوي النفوس، ويرضي وجدانهم قبل عقولهم، وبهذا نجد تنوع في أساليبه منها الصريح والضمني فهو خطاب طبيعي جاء مخاطبا البشرية كافة، لا حدود جغرافية ولا زمنية ولا عرقية تتحكم فيه، فارتبطت آياته بالحجاج ما جعله "يجمع بين الصورة والمضمون فهو يحدد مجموعة من الأقوال التي تستهدف بيان حقيقة ما أو إقناع المخاطب أو إنشاء معرفة...إلخ[35].

إنّ تحكم المتكلم في مسالة اللغة رهين بمقصدية الخطاب، الذي به يحصل الفهم والإفهام، والتأثير والإقناع، مع مراعاة الوزن الفكري للمتلقين، للوقوف على تلمس جسد النص وبها يقول الشاطبي: "إنما يصح في مسلك الإفهام والفهم ـ ما يكون عاما لجميع العرب، فلا يُتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه بحسب الألفاظ والمعاني؛ فإن الناس ـ في الفهم، وتأتّي التكليف فيه ـ ليسوا على وازن واحد ولا متقارب، إلا أنهم يتقاربون في أمور الجمهورية... ولم يكونوا يتعمقون في كلامهم، ولا في أعمالهم، إلا بمقدار ما لا يخلُ بمقاصدهم؛ اللّهم إلا أن يقصدوا أمرا خاصا لأناس خاصة، فذلك كالكنايات الغامضة، والرموز البعيدة كالتي تخفى على الجمهور، ولا تخفى عمَّن قصد بها، وإلا كان خارجا عن حكم معهودها"[36].

فالأسلوب القرآني مبنيٌّ على عدة أغراض منها التفاؤل والوعيد والترغيب والترهيب أو لرفع الحرج عن كل ما يخدش الحياء، مستعملا الفاعلية النشطة للفكر الإنساني للوصول بمتلقيه للمعنى المقصود دون تشويش، وهذا ما "سجله وليام جيمس من أن الخطاب الديني يسعى إلى تقديم الشيء على نحو يحمل فيه براهينه معه، فلا يُحتاج الى برهان آخر"[37].

التمثيل الحجاجي للكناية:

قال تعالى: ﴿**نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ** فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[38].

عن ابن عباس أنّ عمر جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هلكت، قال: وما أهلكك؟ قال: حوّلت رحلي الليلة، فلم يردّ رسول الله شيئا فأوحى الله إلى رسوله هذه الآية(نساؤكم حرث لكم)[39]. والحرث في اللغة إلقاء البذور في الأرض وتهيئتها للزرع، فكنّى الله تعالى في هذه الآية منبت الولد بلفظة(الحرث) وهذه اللّفظة مرتبطة أساسا بالأرض، التي تعبر

عن الخصب والنّماء، ويرى الزمخشري أنها من "الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة، وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلّفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتبتهم"[40]. وُجد تشابه بين صلّة الزارع بالأرض واتصال الزوج والزوجة في لفظة (الحرث) يقابله في ذلك النبت الذي يخرجه الحرث من الأرض، والنبت(الولد) الذي هو ثمار الزوجين، وكل منهما يعبران عن الزيادة والعمران، وهذا لتقريب المعاني للنفوس البشرية؛ لأن العرب تعظّم هكذا خطاب، لما له من قدرة التأثير العاطفي في قلوب المتلقين، "وقد ترتبت الجمل الثلاث الأولى على عكس ترتيب حصول مضامينها في الخارج؛ فإن الظاهر أن يكون الإعلام بملاقاة الله هو الحاصل أولا، ثم يعقبه الأمر بأن يقدموا لأنفسهم، فخولف الظاهر للمبادرة بالأمر بالاستعداد ليوم الجزاء، وأعقب الأمر بالتقوى إشعار بأنها هي الاستعداد ثم ذكّروا بأنهم ملاقوا الله فجاء ذلك بمنزلة التعليل، [41] فالمتأمل لهذه الآية الكريمة أنّها بدأت بالنتيجة ﴿نساؤكم حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ ثمّ قُدمت الحجج، فجاء الاستدلال القرآني في هذه الآية مبيّنا النتيجة وهي إباحة الوطء في موضع الحرث واجتناب كل ما حرمه الله تعالى منها. أما الخصائص والدلالات التقابلية التي يمكن تحملها لفظة الحرث نستخلصها في الجدول الآتي:

الأرض	المرأة
تهيئة	تهييج
بذرة + ماء	نطفة + بويضة
منبت الزرع	الرحم منبت الولد
الخصب والنماء	النماء والعمران

فالقرآن الكريم قد استعمل سُلّما حجاجيا مراعيا فيه ترتيب الحجج حسب قوة دلالتها فهو "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية موفّية بالشرطين التاليين:

1-كل قول يقع في مرتبة ما من السّلّم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى مع الأقوال التي دونه.

2-كل قول كان في السّلّم دليلا على مدلول معيّن، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه".[42]

ومن هنا يمكننا تمثيل الاستدلال القرآني لهذه الحجج وفق الشكل الآتي:

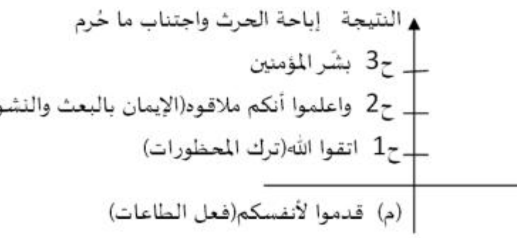

يتخلل الخطاب الحجاجي أدوات لغوية لها دور في ربط الاستدلالات، وترتيب درجة قوتها وهذا ما يتضح لنا من خلال تأثيرها في السياق، فالرابط الحجاجي (أنّى) الذي يدل على اسم لمكان مبهم، تبيّنه جملة مضاف هو إليها نحو قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا**﴾.[43] ف"أنّى" استفهام عن مكان (من أين لك هذا) فكان جوابها قوله تعالى: ﴿من عند الله﴾ وقد كثر استعماله مجازا في معنى كيف بتشبيه حال الشيء بمكانه لأن كيف اسم للحال المبهمة يبّينها عاملها نحو "كيف شاء"[44]

نساؤكم حرث لكم	**أنّى**	**الحجة**
	إتيان الحرث كيف ومتى شاء.	

المثال الثاني

﴿**وَلَا تَقْفُ** مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[45] يقال: قفوته: أصبت قفاه، وقفوت أثره، وأقفيته: تبعت قفاه، والاقتفاء: هو إتباع القفا ويكنى بها عن الاغتياب وتتبع المعايب. "[46] كان العرب في الجاهلية يطعنون في أنساب النّاس، فيرمون المحصّنات ويُنسبون بعض الأولاد لغير آبائهم ظُلما وبُهتانا، أو سوء ظن وذلك لمّا رأوه في بعد الشّبه بين الابن وأبيه، حتى أنّهم طعنوا في نسب الصحابي أسامة بن زيد، من أبيه زيد بن حارثة لأن أسامة كان أسود اللّون وكان أبوه أبيض أزهر، وقد أثبت النبي صلى الله عليه وسلم ـ أنّ أسامة بن زيد بن حارثة، وهذه أخلاق كانت متفشية أيام الجاهلية، فالله تعالى في هذه الآية ينهانا عن تتبع معايب الناس وعوراتهم سواء في أقوالهم أو أعمالهم، وأن نتأكد من الخبر قبل الحكم عليه. يقول الزمخشري "المراد النّهي عن أن يقول الرّجل ما لا يعلم وأن يعمل بما لا يعلم، ويدخل فيه النّهي التقليد دخولا ظاهرا، لأن إتباع لمّا لا يعلم صحته من فساده"[47].

فالحجة البيّنة أنك أيّها الإنسان عليك أن لا تتبع مالا تعلم، ولا يعنيك لأنّ هناك جوارح شواهد عليك يوم القيامة ؛ وهي السّمع والبصر والفؤاد. وأنّ هذه الشّواهد تتعدى إلى شواهد أخرى، وتكون بمثابة حجج أخرى عليك، فالله تعالى يخلق الحياة لتلك الأعضاء، وتنطق على ما فعلت في الدنيا والدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[48]. إنّ الإنسان العاقل الفطن يعلم يقينا، أنّ جوارحه تصبح شواهد عليه يوم القيامة على ما فعلته من محظورات يبرره قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿20﴾وقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[49]

ويكون التمثيل للبنية الحجاجية كما يلي:

النتيجة ← الحجة

جَوارحك شواهد عليك يوم القيامة. (لا تتبع مالا تعلم ولا يَعنِيك)

المثال الثالث

قال تعالى ﴿**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾[50]

إنّ المقصود من هذا أنّ الكفار افتخروا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين، فبيّن الله تعالى أن ذلك لا يوجب الافتخار لاحتمال أن يصير الفقير غنيا والغني فقيرا، فالآية الكريمة تبين لنا قصة صاحب الجنتين، الذي كان في غاية غروره وجحوده للنعمة، التي أُنعم بها، واستعلائه على صاحبه الفقير، فكان ردّ الله تعالى سريعا بزوال النّعمة مع الجحود والكفران، فلم يجد فئة تنصره من دون الله. وردت الكناية في قوله تعالى: ﴿**فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ...** ﴾ للدلالة على شدة الندم، "فالرجل ندم عن الشّرك لاعتقاده أنه لو كان موحدا غير مشرك، لبقيت جنته فهو إنّما رغب في التوحيد والرد عن الشرك؛ لأجل طلب الدنيا فلهذا السبب ما صار توحيده مقبولا عند الله "[51]، فإقراره بالذنب الذي وقع فيه، وندمه الشديد والحسرة التي خيّمت على قلبه تمنى لو لم يشرك بالله، قال تعالى: ﴿ يا ليتني لم أشرك بربي أحدا﴾.

الحجة المستخلصة أن الدنيا بملذاتها وزخرفتها وما جمع هذا الإنسان من أموال وأنصار مصيره الفناء وهذا ما يبينه الزجاجي في قوله: " إنّ الدنيا زائلة ودليل ما مضى منها بمنزلة ما لم يكن، واعلم أن مثلها هذا المثل. "[52]

النتيجة ← الحجة

(الهلاك والعقاب) (الجحود بنعم الله والشّرك به)

المثال الرابع

قال الله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا** ﴿27﴾**يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا**﴿28﴾**لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا** ﴾[53] جاءت الكناية في قوله ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ**﴾، ﴿**يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا**﴾

فالآيتان توحي على الدلالة على شدة الندم، وتكون في موضع اليد والإنسان بفطرته تعارف أنّ عضّ الأيدي يدل على الحسرة والحزن. "وهي من الكنايات التي يلازمها العرف من معان نفسية، وأصل نشأتها عن تهييج القوة العصبية من جراء غضب أو تلهف"[54]

النتيجة ← الحجة

(النّدم الشّديد يوم الجزاء) (طاعة المشركين أخلّتهم في الشّرك)

وكنى الله بفلان الذي يحمل مقاصد متعددة، إما إخفاء اسمه خيفة عليه، أو خيفة من أهلهم أو للجهل به، "وفيه إيماء إلى شأن الخلّة الثّقة بالخليل، وحمل مشورته على النصح، فلا ينبغي أن يضع المرء خلّته إلى حيث يوقن بالسّلامة من إشارات السوء"[55]

النتيجة ◄ــــــــــــــــــــــــــــ الحجة

(النجاة يوم القيامة) (اختيار الخلّة الثقة الذي يعينك على طاعة الله)

الرسول صلى الله عليه وسلم يحثّنا على اختيار الخليل الذي يعينك على طاعة الله لقوله: ((إِنَّمَا مَثَلُ الجليس الصالحُ والجليسُ السوءِ كحامِلِ المسك، ونافخِ الكِيْرِ فحاملُ المسك: إما أن يُحْذِيَكَ، وإما أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجِدَ منه ريحا طيّبة، ونافخُ الكير: إما أن يَحرقَ ثِيَابَكَ، وإما أن تجد منه ريحا خبيثَة)) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري

فالحديث الشريف يحثنا على اختيار الصحبة الحسنة التي ترتقي بك إلى الله، وتعينك على طاعته، فالصاحب ساحب، كما ينهانا عن مجالسة أصحاب السوء الذي تتأذى بمجالستهم سواء كان في الدين أو الدنيا.

التمثيل الحجاجي للتعريض

لقد شغل الخطاب القصصي حيزا كبيرا في النص القرآني، لما يحمله من تأثير في النفوس والسيطرة على العقول، لأنه أداة من أدوات التبليغ، وإيراد الحجة بين المتناظرين. قال الله تعالى: ﴿ **وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[56]يقول سيدنا نوح عليه السلام وهو يبين لقومه أنه رسول من الله تعالى أرسله نذيرا وبشيرا.

قال تعالى﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿25﴾أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[57] وجاءت الحجة القرآنية في الآية الأخيرة بتقديم الحجج وصولا إلى نتيجة ضمنية عدم الشرك بالله، كما هو مبينا في الجدول الآتي:

الحجج	المقدمات	النتيجة
ـ إنّي لكم نذير مبين. ـ لّا تعبدوا إلّا الله. ـ إنّي أخاف عليكم عذاب يوم أليم.	إنّي رسول الله	عدم الشرك بالله.

فكان رد قومه عليه والاستهزاء بالذين اتبعوه. قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴿27﴾**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ**﴾[58] استدل الملأ من قوم نوح بحجج من

المغالطات الباطلة، التي أوصلتهم إلى نتيجة مفادها الجزم بنفي رسالة النبوة عن نوح ـ عليه السلام ـ وهذه المفاهيم:

- مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا.
- -وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا. أشراف القوم.
- وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ.

ليس لك مزية تخصك عنا، سواء في العقل أو الغنى أو قوة الجدل. إنّ الذين آمنوا بدعوتك هم أراذل القوم وأصحاب الصنائع الخسيسة، أنّهم نظروا إلى دعوتك نظرة سطحية دون تأمل ولا عمق في التفكير ولو كانت نبوتك صادقة لآمن أشراف القوم، فهؤلاء الكفرة من قوم نوح، لما "قصّروا عن إدراك أسباب الكمال نظرو نوحا. عليه السلام ـ وأتباعه فلم يروه من جنس غير البشر وتأملوا وأتباعه فلم يروا من أجسامهم ما يميزهم عن النّاس وربما كان في عموم الأمة من هم أجمل وجوها وأطول أجساما. [59] جاء تعريضهم بأنهم أحق بالنبوة منه، واستدلوا على نفي نبوته، تحت طائل من الحجج الجزئية التي أوصلتهم إلى النتيجة، وأنّ الله لو أراد أن يجعلها في أحد لجعلها فيهم، وتمثيل إبطال حجج نوح . عليه السلام . من قبل قومه الممثلة بالسلم الحجاجي المقابل.

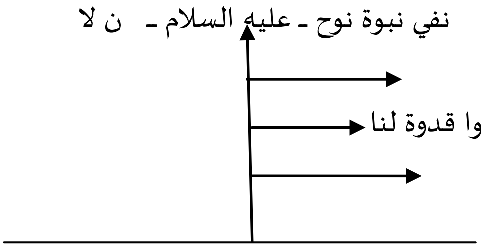

(م) استدلال ملا قوم نوح بعدم الإيمان به ولا برسالته.

لكن نوح –عليه السلام ردّ على ادعائهم وإبطال الحجج التي نسبوها إليه قوله تعالى﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾. [60] نلاحظ أنّ الآية الكريمة: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا... بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ تبدأ بالفعل "قال" لتقدم حجج قوم نوح يعقبها الرابط (بل) الذي يضرب عمّا قبله على جهة الإبطال، فهذا الأخير له أهمية كبرى في العملية الحجاجية "إذ تكمن حجاجيتها في أن المرسل يرتب بها الحجج في السّلم، بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة، وذلك بأنّ بعضها منفي وبعضها مثبت"[61] كما أنّه "حرف إضراب، وله: حالان: الأوّل: أن يقع بعده جملة. والثاني: أن يقع بعده مفرد. فإن وقع بعده جملة كان إضرابا عمّا قبلها، إما على جهة الإبطال[...]، وإما على جهة الترك للانتقال، من غير إبطال[...]

وإذا وقع بعد بل مفرد فهي حرف عطف، ومعناها الإضراب. ولكن حالها فيه مختلف: فإن كانت بعد نفي [...] فهي لتقرير حكم الأوّل، وجعل ضدّه لما بعدها. [...][62] جاءت النتيجة﴿ بَل نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (بل) لتأكيد "إبطال للمنفي كلّه الدال على صدقه في دعواه بإثبات ضد المنفي وهو ظنّهم إياهم كاذبين، فزعموا أنّ نوحا ـ عليه السلام ـ كاذبا في دعوى رسالته.[63]

(نظنّكم كاذبين) ← بل ← دعوة نوح قومه إلى الإيمان بالله

(تكذيب ما جاء به نوح عليه السلام)

المثال الثاني

إنّ حوار النبي إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع أبيه، الذي تظهر فيه نداءات الابن البار الناصح المشفق الذي ناداه أربع مرات، ((يا أبت)) متبوعة بحجج كي يحمله على الإيمان بالله، ويحرك فيه مشاعر الأبوة والتحبب إليه، في حين كان رد فعل الأب قاسيا يحمل التهديد والبطش بابنه قال تعالى: ﴿**أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**﴾[64]، فإبراهيم عليه السلام استخدم مع أبيه خطابا تربويا مرنا، يريد من ورائه إثارة النشاط العقلي عند أبيه ويحرك فيه مشاعر الأبوة لكي تجعله يفكر بالصورة الصحيحة لتلك الأصنام، ويحفزه على الإيمان بالله. قال تعالى في قصة إبراهيم –عليه السلام- ﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿62﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا **فَاسْأَلُوهُمْ** إِن كَانُوا يَنطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿64﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ ﴿65﴾[65]

فالتعريض في قوله (**فَاسْأَلُوهُمْ**) على سبيل الاستهزاء، وإقامة الحجة عليهم بما عرض لهم به، وعجز كبير الأصنام عن الفعل مستدلا على ذلك بعدم إجابتهم إذا سُئلوا "، [66] فإبراهيم –عليه السلام- لم ينسب تكسير الأصنام إلى الصنم، "وإنّما قصد تقريره لنفسه، وإثباته لها على أسلوب تعريضي، يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم. "[67] لقد بيّن إبراهيم عليه السلام – لأبيه وقومه حجج تدفعهم إلى الإيمان بعقيدة التوحيد، لكن هذه الحجج لم يؤمنوا بها ولم يتقبلوها لاعتبارات عديدة، منها أنهم وجدوا آباءهم يعبدونهم، مما أقسم إبراهيم – عليه السلام –أنّ يكيد لأصنامهم، والغرض من ذلك هو إثبات بالدليل العيني على أنّ هذه الأصنام التي أنتم عاكفون عليها لا تستطيع دفع الأذى والضرر عن نفسها، فكيف تستحق العبادة؟ فكانت المحاورة علنية ومباشرة وذلك بصيغة المساءلة التي تستدعي جوابا.

- أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟
- بل فعله كبيرهم هذا.
- فاسألوهم إن كانوا ينطقون.

فردّ عليهم بحجة ضمنية للرجوع إلى أنفسهم ليفكوا شفرة الحجة التي أبهرت عقولهم، فأقام عليهم الحجة، وذلك بتوجيه أصابع الاتهام إلى كبيرهم، ليرتقي بالحجة إلى درجة أعلى من القوة والتأثير. أما التلميح الذي نلمسه من تلك المناظرة، والتي كادت عقولهم تهتدي لحجج إبراهيم عليه السلام، وهي خفضهم لرؤوسهم واعترافهم بالهزيمة أمام البيّنة التي لا يشوبها شك قال تعالى: ﴿**ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ**﴾ لكن التكبر والاستعلاء والجحود حولوا حجج سيدنا إبراهيم تخدم غرضهم وجاءت المغالطة لحجج إبراهيم ـ عليه السلام ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاء يَنطِقُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ فسيدنا إبراهيم في سياق سؤاله، أي شيء حملكم على عبادة الأصنام، فلم يجدوا ما يبرر حججهم إلا أنّهم أحلوا الأمر إلى آبائهم بوصفهم سلطة العالم الخبير ليبرروا هذا الفعل، فالنبي إبراهيم عليه السلام أنسب فعل تحطيم الأصنام إلى نفسه في أسلوب تعريضي للرجوع إلى أنفسهم وذلك بإعمال عقولهم على أن ما يُعبد ويُدعى إلهاً لا يستطيع الدفاع عن نفسه: إذن فهي حجارة. وكما يلزمهم الحجة البيّنة، ويصل بهم إلى نتيجة (إنكم أنتم الظالمون). ويمكن تمثيلها بالشكل الذي عمده تولمين:

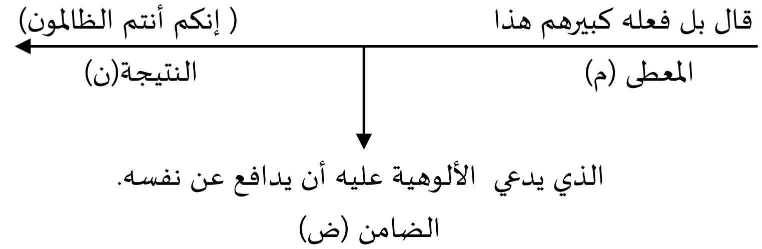

الخاتمة

جاء تمثيل الحجاج في الصورة البيانية التي تجسدت في أسلوبي الكناية والتعريض من خلال نماذج من القرآن الكريم إلى تقديم الأطروحات التي تدعوا العقول إلى الإذعان والتدبر الموضوعي الواعي من خلال الحجج المقدمة، كما تعمل على استقطاب النفوس وتحريك المشاعر بغية تقريب المعنى وإظهاره في أجمل صورة من أجل الحصول على حقيقة معينة.

مراجع البحث وإحالاته:

1 عبد القاهرالجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004، ص:267.

2سورة النحل: الآية 44.

3 أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبين، تح، ع السلام محمد هارون، ج1، (د.ت)، ص:76.

4 بدوي طبانة: البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1958، ص: 202.

5 عبد القاهرالجرجاني: دلائل الإعجاز، ص:95.

6 شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010، ص: 46.

*يعتبر بعض البلاغيين أن الدلالة الأولى تمثل دلالة وضعية، أما الدلالة التضمنية ودلالة الالتزام فإنها تتوقف عندهم على أمر عقلي. (ينظر حاشية الدسوقي، الجزء الثالث، ص: 264.

7 شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي المرجع السابق، ص: 103.

8 أرسطو طاليس: فنّ الشعر، تح، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1953، ص:59.58.

9 عبد القاهرالجرجاني: أسرار البلاغة، تح، محمود محمّد شاكر، دار المدني، القاهرة، ط1، (د.ت)، ص: 130.

10 رضوان الرقي: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد2، المجلد40، أكتوبر-ديسمبر2011، ص:76.

11 حسان الباهي: اللغة والمنطق، دار الأمان، الرباط، ط1، 2000، ص: 138.

12ينظر: أبو منصور الثعالبي، تح، عائشة حسين فريد، دار قباء، القاهرة، ط1، 1998، ص: 10.

*المعرض: الثوب الذي تعرض فيه الجارية وتجلى، والألفاظ معاريض المعاني لأنها تجملها.

13 ينظر: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1986، ص:242.

14عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص: 66.

15 سورة المؤمنون الآية: 27.

16 ينظر: أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص: 557.

17 عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع والمناظرة، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013م، ص: 78.

18شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي، المرجع السابق، ص: 60.

19 أبو منصور الثعالبي: الكناية والتعريض، تح، عائشة حسين فريد، (دط)، (دت)، ص: 53.

20 سورة البقرة 235

21 ينظر: أبو منصور الثعالبي: الكناية والتعريض، المرجع السابق، ص: 54.

(22) محمد سالم: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، ، مجلة عالم الفكر، ص: 57.

23 ينظر: جمال الدين، ابن منظور، لسان العرب، مادة "حج"، دار صادر، بيروت، د. ط، ج1، ص: 746.

24 ينظر: الفلسفة والبلاغة عمارة ناصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص: 86.

25 عبد الله صولة: الحجاج في القرآن، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص: 8.

26 محمد سالم، الحجاج في البلاغة المعاصرة، المرجع السابق، ص: 105.

27 المرجع نفسه، ص: 107.

28 المرجع نفسه، ص: 108.

29 عبد الله صولة: الحجاج في القرآن، المرجع السابق، ص: 30.

30 ينظر: المرجع نفسه، ص: 26.

31 محمد سالم: الحجاج في البلاغة المعاصرة، المرجع السابق، ص: 103.

32 عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص: 39.

33 فريق البحث في البلاغة والحجاج: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب منوبة، تونس، ص:399

34 ينظر: المرجع نفسه، ص: 395.

35حسان الباهي: اللغة والمنطق، المرجع السابق، ص: 138.

36 محمد مشبال: بلاغة الخطاب الديني، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015، ص: 123.

37 المرجع نفسه، ص: 125.

38سورة البقرة الآية: 223.

39 محمد الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، ج6، 1971م، ص: 80.

40 الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به وخرج أحاديثه، خليل مأمون شيما، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، ج2، 2009م، ص: 130.

41 محمد الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، المرجع السابق، ص: 79.

42 طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998، ص: 277.

43 سورةآل عمران الآية: 37.

44 طاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ط1، 1984ج2، ص: 372.371.

45 سورة الإسراء الآية: 36.

46الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعه، محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط4، 2004، ، ص:280.

47 الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل، شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحّمادي، مكتبة مصر، الفجالة، (د.ت)، ج2، ، ص: 597.

48 سورة النور الآية: 24.

49سورة فصلت الآية: 21.20.

50 سورة الكهف الآية: 42.

51 محمد الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، المرجع السابق، ص: 129.

52 الزجاج: معاني القرآن الكريم، تح، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، 1988، ص: 291.

53 سورة الفرقان الآية: 29.28.27.

54 طاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، المرجع السابق، ط1، 1984، ج19، ص:13.

55 المرجع نفسه، ص:22.

56سورة هود الآية: 120.

57سورة هود الآية: 26.25.

58سورة هود الآية: 27.

59 طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المرجع السابق، ج19، ص:13.

60 سورة هود الآية: 31.

61 عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص: 514.

62 المرجع نفسه، ص:515.

63 طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المرجع السابق، ج19، ص:49.

64سورة مريم الآية: 46.

65سورة الأنبياء الآية: 63.62.

66الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج2، (دط)، (دت)، ص: 311.

67 الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل، المرجع السابق، ج2، ص: 577.